Copyright 2003, Alwatan© Internet Dept

الشاعر العراقي بسام صالح مهدي:

أنا من جيل شعراء اللحظة الحرجة الذين لعبت معهم الحـــرب أطفـــالا. الوزن متولد في أصله من المنتجات الصوتية للغة وليس قالبـــا جـــاهزا مضافا إليها.

تستضيفه جامعة السلطان قابوس السبت المقبل:

حوار ــ حسن المطروشي:

لشعره مذاق الحزن وعنفوان النخيل التي تملأ سماء بغداد ســكينة وحزنـــا تواجـــه الريـــاح والحروب والنكبات والكوارث التي مر بها العراق طيلة عشرات السنين التي نبت فيهـــا هـــذا الشاعر مع عدد من شعراء جيله الذين واكبوا ليل الحروب وعايشوها أطفـــالاً أبريـــاء وفتيـــة حالمين وشعراء مبدعين فشكلت جراحهم وأصواتهم بدخانها وحرائقها المتواصلة.. انه الشاعر العراقي المقيم في سوريا بسام صالح مهدي الذي شارك في العديد من المهرجانـــات العربيـــة وله الكثير من الدراسات النقدية المنشورة في الصحف والمجـــلات العربيـــة .. كـــان رئيـــسا لرابطة الشعراء الشباب في العراق ورئيسا لتحرير مجلة أشرعة وهو أيـــضاً مـــن مؤســـسي حركة قصيدة الشعر في العراق .. صدرت له مجموعتان شعريتان (لا أعد الهروب خيـــولا) و(التفاتة القمر الأسمر) .. الشاعر بسام تستضيفه جامعة السلطان قابوس السبت القـــادم مـــع مجموعة من شعراء الوطن العربي لإحياء عدة أمسيات في السلطنة وبهذه المناسبة كـــان لنـــا هذا الحوار معه.

* ما هو شعورك وأنت مزمع على زيارة سلطنة عمان؟

** ستضيف زيارتي إلى السلطنة فخراً وشرفاً لي فكل قطر عربي أزورهُ يمنح لي أفقاً جديداً وذاكرة جديدة ويعطيني أملا أكبر أضف إلى ذلك أن الملتقى الشعري الذي تستضيفه الـــسلطنة

ما هو إلا فرصة نادرة يجود بها هذا الزمان الشحيح للقاء بشعراء عمان وشعراء عـــدد مـــن الدول العربية وكان سروري بالغا حين تلقيت الدعوة للمشاركة مع عدد من الشعراء المهمـــين في ساحة الشعر العربي المعاصر.

* وقعت مع مجموعة من الشعراء العراقيين بياناً شعرياً حول (قصيدة الشعر) .. تـــرى هـــل تعتقد أنَّ الشعر يحتاج إلى بيان .. أليس هو بيان بحد ذاته؟

** الشعر في كل العصور يحتاج إلى بيانٍ يُظهر رؤية الشاعر التي يتعامل بها مـــع الـــنصِّ، انظر الشعر العربي القديم تجد أن الشعراء يذكرون آراءهم وطرائق اشتغالهم ضمن قصائدهم، فمنذ ((هل غادر الشعراء)) لعنترة العبسي مروراً بـــ ((حملتمونا حدود منطقكم والشعر يغنـــي عن صدقه كذبه)) للبحتري وما خلَّفه أبو تمام من أبيات تعدُّ بياناً شعرياً منظوماً، يثبـــت فيـــه نظريته الشعرية، وقد عدَّ أدونيس أبياتاً لأبي نواس بياناً شعرياً بقوله:

غير أني قائل ما أتاني
من ظنوني، مكذب للعيان
آخذٌ نفسي بتأليف شيءٍ
واحدٍ في اللفظ شتى المعاني

كل هذه الأبيات هي بيانات شعرية أثرت تحولات الكتابة الشعرية في الـــشعر القـــديم، وفـــي عصرنا الحديث كثرت البيانات الشعرية وهي معروفة ومتداولة.

* ما هي برأيك ضرورات البيان؟

** بيان ((قصيدة الشعر)) هو إعلان عن نشوء حركة شعرية عربية، كانت شرارتها الأولـــى في العراق، فكيف تريدنا أن نوصل أفكارنا إلى الناس، كيف سيتعرفون على سماتها الفنية من دون بيان؟ هذه أولى الضرورات، أما الضرورات الأخرى فإن البيـــان يعـــرض فـــي أولـــه السلبيات السائدة في الشعر العربي المعاصر، مع ما أحدثه الصمت عنها أو الترويج لهـــا، ثـــم يحدد البيان بكل أمانة وصدق حدود النص الذي ينسب إلى (قصيدة الشعر) ... وحتى الشعراء الذين وقعوا على هذا البيان يعترفون بأن (قصيدة الشعر) تتجلى فـــي نـــصوص معينـــة مـــن شعرهم لا في كل ما يكتبون.

* بماذا تفسر توجه الشعراء إلى كتابة القصيدة الحديثة بإطار كلاسيكي، أو بالأصح ضمن المحددات الخليلية .. وأنت واحد منهم؟

** هناك خطأ شائع، دائماً يتم تحويل المذاهب الأدبية إلى هيئات وأطر وأشكال، بينما هي مذاهب فنية تعنى بالمضمون والسياق والخطاب والبنية الفنية، فهل كانت ثورة الرومانسية على الكلاسيكية ثورة على الوزن؟ إنها قدمت خطاباً فنياً جديداً مغايراً للخطاب السائد... وثمة خطأ آخر، هو النظر إلى كل ما هو قديم على أنه كلاسيكي، لذلك ينظر إلى الوزن على أنه من صنع الأوائل وأنه قديم؛ وهو بحسب هذه النظرة الخاطئة التي تظن: أن كل قديم هو كلاسيكي وأن الوزن هو نتاج قديم فهو كلاسيكي ويجب على الشاعر المجدد أن يتركه ولا يتعامل به! ولو حاولنا تعميم هذه النظرة على اللغة لأمكننا القول: إن كل لفظة موجودة في المعجم هي لفظة قديمة كلاسيكية لا مجال للتعامل بها من قبل الشاعر المجدد، وعندها لن يبقى شعر أبداً... إن فحص الآراء الشائعة وتشخيص أمراضها ومعالجتها أمر في غاية الأهمية، لأن تركها يعني تحولها إلى قواعد ثابتة في الوعي الجمعي. والحديث عن التجديد بإطار كلاسيكي حديث غير دقيق، لأن الوزن ليس إطاراً أو قالباً جاهزاً كما يتصوره بعضهم، إنه روح متدفقة تحرك النص الشعري، إنه ألفة بين الإيقاع والدلالة، إنه مغاير للقول السائد، والوزن متولد في أصله من اللغة، إنه من منتجاتها الصوتية، إنه تولُّدٌ منها، وعندما ضبط الخليل حدوده أخذ يُنظر إليه - الوزن - على أنه إيقاع من خارج اللغة، وذلك لأن تجسد الإيقاع في هيئة تفاعيل جعل النظر يتجه إلى الهيئة مهملاً مصدر الإيقاع الذي هو اللغة، فالوزن هو مكونات اللغة وليس شيئاً خارجياً مضافاً إليها.

* هاجس معظم الشعراء اليوم هو الاشتغال على تأرجح العلاقة بين الدال والمدلول لابتكار انزياحات تخلق صورة فنية جديدة، هل تشكِّل عندك هذه المسألة هاجساً؟

** الاشتغال الشعري حينما يكون مرتكزاً على بناء جملة شعرية جديدة، يستعين بعوامل عديدة منها تفاصيل الحياة اليومية لتوظيفها في صور جديدة، كما يمكن تصوير الفكرة بتحويل ما هو ذهني إلى ما هو حسي يمكن رؤيته في الخيال، فليس التعامل اللغوي البلاغي هو الوحيد الذي ينتج الصورة والدلالة الشعرية. كما أن الصورة الشعرية لديَّ تشغل مجالات متعددة فقد تكون صورة حركية مثل: ((جلس الغروب على يديها متعباً ورمى عباءته فنام نهارُها)). وقد تكون صورة ميتافيزيقية أو مشهدية أو ذهنية ... الخ، المهم أن يتشرنق الإحساس داخلها، فتكون حارَّة مشبعة مكتفية بذاتها أزلية - خارج الزمن وداخله، خارج

المنطق وصانعة له، خارج المعقول وهي معقول فوق الكينونة، وفوق الحلم وفوق الوجود.
* كيف تنمو القصيدة في حقولك .. هل تتركها على سجيتها أم تشذبها؟

** هناك مقولة لشاعر قديم: ((إن الآلهة تجود علينا بالبيت الأول وعلينا أن نكمل الباقي))، والقصيدة عندي تبدأ فجأة لا يحدد بدايتها مكان ولا زمان، إلا أنها لا تظل على حالها عندما أدخلها إلى مشغلي الشعري، وأعتزل معها هناك، تسحبني مرة وأسحبها مرة، إلى عوالم مختلفة نتبادلها، فتتغير الجمل وتتبدل الطقوس التي تحدد حركة المعنى، وينتهي هذا عندما تقف القصيدة أمام عيني كائناً قادراً على الخروج والعيش وتنفس الهواء بين الآخرين.
* ما الذي يجعل جملتك الشعرية مختلفة عن غيرك؟

** الجملة الشعرية تمتلك تبدلاتها الصياغية عبر الصور والمعاني في إطار تراكيب شعرية جديدة ومدهشة لا تميل إلى التبعية لأنها تنبع من التجربة الأصيلة المشحونة بالواقع كألم والخيال كملجأ.

* كيف كانت تجربتك الصحفية في العراق؟

** كنت أزاول العمل الصحفي في بعض الصحف اليومية والأسبوعية، كنتُ أحسُّ أن كل ما أكتبه من مقالات وتحقيقات مأسورة ومقطوعة الرأس بسبب فقدان حرية التعبير في عهد النظام السابق... رؤساء التحرير يقولون: إن كل مقالة أو قصيدة أو تحقيق يمكن تأويلها بشكل أو بآخر فلا تكتبوا غير ما كان مباشراً واضحاً لا محل لتأويله !! ومثلي لا يطيق أن يظلَّ مسوَّراً بهذه الحكمة اللعينة ، لذلك عملت مع مجموعة من الأصدقاء الشعراء على تأسيس رابطة الرصافة للشعر العربي، وكنتُ رئيساً لها، وأصبح الشعراء الشباب يتوافدون عليها وهم يشعرون ويؤمنون بأن هناك منصة حرة شريفة يمكنهم ارتقاؤها وقول ما يريدون من عليها، فأقامت الرابطة مهرجانات وأماسي، وكنا مندفعين بإغراء المخاطرة، فكل ما نقوم به كان قابلاً للتأويل، ولكننا ظللنا في اندفاعنا حتى أصدرنا مجلة (أشرعة) بلا تحصيل موافقة رسمية أو دعم مادي من أي جهة حكومية، سوى وضع اسم (اتحاد الشباب) كغطاء وهمي لها، وأصبحت مجلتنا المتواضعة الشكل عميقة المضمون ينشر فيها ما لا ينشر في كل المجلات الرسمية، وحملت على عاتقها الدعوة لحركة (قصيدة الشعر) ... أشرعة كانت ثقباً نستنشق منه الهواء النقي، ويدخل منه ضوء شريف إلى قبو الحصار والقمع.

* تحدث لنا عن جيلك والشعر العراقي وما أضافته تجربة الهجرة للأدب العراقي.

** خير تسمية تعبر عن الجيل الثمانيني والتسعيني هي ((شعراء اللحظة الحرجة)) وهو عنوان كتاب نقدي عن الجيلين للناقد عباس عبد جاسم نشر قبل عامين في العراق ولم تصدره الجهات الرسمية، فكم هي حرجة هذه اللحظة التي نرى فيها أعمارنا كزمن قصير على الرغم من طول مرارة هذا الزمان، كنا أطفالاً تلعب الحرب معنا، وشباباً تعشقنا الحرب، وشعراء لغتهم الحرب، تزوجت الحرب كل الرجال.

أما عن هجرة الأدب العراقي، فهناك مثل شعبي يقول: ((امشِ شهراً ولا تعبر نهراً)) ... من الأدباء من اختار عبور النهر (الهجرة)، ومنهم من اختار أن يمشي ... أما عن نفسي فعبوري للنهر كان بعد أن مشيت مع من في الداخل. ولكن ومع الأسف بعض من عبروا النهر أصبحوا عبدةً له، يروجون لهجرتهم ويعتبرونها الممثل الحقيقي لكل الأدب العراقي، ويزاولون إلغاء من في الداخل معتقدين أن هجرتهم أشد معاناة من البقاء في الداخل.